محمد
ودلائل العظمة

بقلم : سليمان المدني

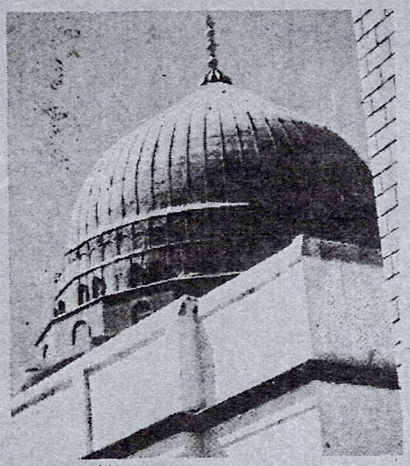

في صبيحة يوم الاثنين أحد أيام شهر ربيع الاول عام ٥٧٧ م · حدث في مكة المكرمة مالم يخطر على قلب أحد من سكانها ، لقد وقعت الاصنام عن ظهر الكعبة ، منكبة على وجوهها · ماذا حدث في الكون ؟ أخذ كل قرشي يسأل صاحبه ·

الانبهار يشل الالسنة عن النطق يسيطر على العقول فيدفعها للتفكير في هذا الحدث الخطير ما الذي أسقط الاصنام عن مراكزها انه لامر غريب وقال أحد سادتهم وهو يفسر لهم ماحصل لابد من حدوث أمر جديد ·

ويبدو أن فترة التعجب والانبهار لابد لها أن تمتد بهم أياما طوالا ، فقد وصلت الانباء الى رؤساء العرب بخمود نيران فارس وارتجاج ايوان كسرى ، ولقد كان الفرس يعبدون تلك النيران كما كان العرب يسجدون للاصنام ويتعدى التعجب والانبهار حدود جزيرة العرب ، وتفيض مياه بحيرة ساوه وتضيء قصور بصرى ويتردد السؤال على كل الالسنة ماذا حدث في الكون ويتكرر الجواب من كل الحكماء لابد من حدوث أمر جديد ·

ولقد حدث الامر الجديد وهذه العجائب التي بلبلت أفكار العرب والفرس واليهود وغيرهم من سكان منطقة الاديان مؤشرات وجوده وتحققه لقد أشرقت شمس النبوة وشع قمر التوحيد وظهر الى العالم من يستطيع أن يزيل ما الصق بالانبياء من النهم والمفتريات فلابد أن تخر الاصنام ولا بد أن تنطفيء النيران وتضيء قصور بصرى بن يجب أن يهتز الايوان ·

وفي صبيحة ذلك اليوم بالذات وهو يوم العجائب أعلن عبد المطلب لسادات قريش بأن ابنه عبد الله قد رزق مولودا من زوجه آمنة وانه سماه محمد فتوافدوا اليه مهنئين وكثير منهم قد فكر بأن هذا المولود هو الامر الجديد وان كل ما حصل لاصنامهم ان هو الا ارهاصات لدنو دين جديد ·

ولم تمض على حادثة وقوع الاصنام عن ظهر الكعبة الا أيام يسيرة حتى أطل أهل مكة جيش عظيم أحاط بها من جميع أقطارها ، وأعلن قائده بأنه لايعادى من يعاديه من مكة الا كعبتها وانه جاء يريد هدمها وازالتها ·

ونظر أهل مكة الى عدد ذلك الجيش وعدته فأيقنوا أن لاطاقة لهم به وفروا في الشعاب والاودية تاركين مجدهم ومصدر عظمتهم واحترامهم معلنين عجزهم عن المقاومة مظهرين ضعفهم عن التحدى · فأخرج عبد المطلب ذلك المولود الجديد يرفق على يديه متوسلا به الى الله سبحانه أن يحمي بيته ويدفع عن حرمه وآله · فحدث أيضا ما أثار رعب قريش وبهرهم وان أثلج صدورهم بدفع الغزاة · فقد جاءت طيور صغار تحمل بمناقيرها حجارة صغارا ترمي بها ذلك الجيش اللجب المعجب بعدته وعديده واذا به يبيد ويبيد ويبيد وكأنه العصف المأكول · ويعود السؤال يلح على الاذهان أن تتنبه ويهز الاعماق ويوقظ النفوس · يا الله ! ماذا حدث في الكون · انه شيء عجيب وأسلوب في الحرب جديد · ويعود الجواب من ذلك الرئيس لابد من حدوث أمر جديد ·

واذا كان العرب قد انبهروا مما حصل في يوم مولد محمد (ص) من الاحداث الجسام فان انبهارهم بسلوكه وهو يمر عبر مراحل التطور من الطفولة الى الشباب كان أعظم وتعجبهم مما أخذ به نفسه من الاخلاق وسمو الذات كان أشد من تعجبهم بتلك الاحداث وان بدت في أنفسهم عظيمة وعجيبة ·

فقد جانب محمد بن عبد الله (ص) كل عاداتهم ومواصفاتهم وما درجوا عليه من الغرور والطيش والمجون · كان صدوقا في قوله أمينا على ماتحت يده متواضعا لمن هو دونه غير ميال للفخر والمباهات مع شرف محتده وعراقة حسبه واصله خلق جديد لم يكن معروفا في شبه جزيرة العرب بين حكمائها فضلا عن شبابها وفتياتها فصار يعرف بينهم بالصادق الامين ·

ولرب قائل يقول ولماذا أنتم مولعون بذكر الخوارق وانتهاز كل فرصة لسرد المعجزات ما الداعي لكل هذه المنبهات ؟ الا يكفي مايحسه الانسان الجاهلي من تدهور في القيم الدينية والخلقية وتحلل في الروابط الاجتماعية لان يترقب ذلك الانسان بروز مصلح يأخذ على عاتقه ازالة هذا الفساد ؟ ألم يكن في العرب من قد أحس بذلك حتى ضاقت به نفسه مثل قس بن ساعدة الايادي وورقة بن نوفل وغيرهما ممن خرج من جزيرة العرب يطلب من يرشده الى حقيقة دين ابراهيم ؟

بلى كان في العرب أفراد لايكادون يذكرون بسبب ما أحسوا به من فساد مايعاصرهم من أوضاع ·

ولكن الغالبية من الناس قد همدت عقولهم عن التفكير واستحلت نفوسهم ما ألفته على مرارة طعمه ، وخذ لك مثلا على ذلك أبناء جيلنا كيف استساغوا هذه الموبقات على رغم شناعتها ·

واذا كانت الشواهد الكونية وهي أوضح برهانا وأبين دلالة لم تمنع دعاة الوثنية أن يجدوا من يصدقهم في أفكار الربوبية ، فكيف يحسن الانسان العادي الى سداد وصعه من دون صعقة كونية تهزه من أعماقه وتدفعه نحو التفكير ومحاولة الخلاص من واقعه ·

نعم لقد قارنت ولادة محمد (ص) الكرامات التي دلت على عظمته وأرشدت الى سمو شخصه ·